الأطفال اللقطاء بين الأسطورة والواقع عند الاغريق

د. فاطمة الزهراء هاشم
مدرس بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية
بكلية الآداب – جامعة القاهرة

منذ بدء الخليقة والأسرة فى كل مكان هى الخلية الصغيرة التى يتكون منها المجتمع الكبير وتتألف الأسرة من الزوج و الزوجة والأولاد.

وكان المنزل ولايزال هو مهد تربية الأطفال والميدان الأول والوحيد فى مراحل النمو الإنسانى. ففيه يتعلم الطفل الكلام والسيروالعادات والتقاليد وغير ذلك.... كما يستقى منه أيضا معارفه الأولى عن الحياة الانسانية, وفيه تتفتح مداركه ومن ثم فإن شخصية الإنسان وأسلوب حياته ترتسم معالمها إلى حد ما فى دائرة المنزل وفى السنوات الأولى من العمر([1].)

ولاشك فى أن إستقرار الأسرة من العوامل الأساسية و الهامة فى تنشئة الأطفال تنشئة سليمة, لأنه كما نعلم يمكن حصر أساليب تربية الأطفال فى بعدين فى غاية الأهمية ألا وهما:

الأسلوب المباشر, ويتمثل فيما تلقنه الأسرة للناشىء عن قصد.

والأسلوب غيرالمباشر, ويتمثل فى مدى استقرار الأسرة وعاداتها وتقاليدها وإتجاهاتها الدينية الإجتماعية([2].)

وإذا ما تطرقنا لآراء الفلاسفة فى موضوع تربية الأطفال وإلى أى مدى تأثر بهم الإغريق فى تربية أولادهم, وعلى وجه الخصوص آراء كل من أفلاطون وأرسطو نجد أن أفلاطون كثيرًا ما كان يحث الآباء على ضرورة ترك الأطفال يتمتعون بقدر وافر من اللعب والمرح, وألا نشغل أوقاتهم إلا بما تهفو إليه نفوسهم من اللعب, هذا إلى جانب محاولة الإهتمام وهواية الطفل حتى يغدو ماهرًا فيما يهواه بالفعل. لذلك كان يرى أنه حينما نمد الأطفال بالألعاب يجب أن تكون بينهم على الأقل لعبة واحدة حقيقية تشبع رغباته. فعلى سبيل المثال من يريد أن يصبح جنديًا, فعليه أن يتدرب منذ الصغر على ركوب الخيل وهكذا:

Lšgw d», ka… fhmi tÕn Ðtioàn ¢gaqÕn ¥ndra mšllonta œsesqai toàto aÙtÕ ™k pa…dwn eÙqÝj melet©n de‹n. (Plato, *Laws*, I, 643 bc).

هذا فضلاً عما نلقنه للأطفال من القصص التى يجب أن تتنوع بين الخيال والواقع. وكان أفلاطون يحبذ دائمًا البدء بالقصص الخيالية بشرط أن تكون هادفة:

LÒgwn dὲ dittÕn eἶdoj, tÕ mὲn ¢lhqšj, yeàdoj d' ›teron; (Plato, *Republic*, II, 376e).

ولم تبتعد أراء أرسطو – عن تربية الأطفال- كثيرًا عما طرحه أفلاطون. وإن كان الأول يدعو دائمًا إلى ضرورة التعود على الإعتدال منذ الطفولة, كما كان ينادى أيضا بضرورة أن يبدأ الطفل الدراسة فى سن السابعة حتى يحظى بقدر وافر من الحرية بما يسمع ويشاهد(٣.) "بالنسبة

لهذا السن وحتى سن السابعة يجب أن تتم تربية (الأطفال) فى المنزل, لأنه من المستحسن وهم فى مثل هذه السن أن يتمتعوا فى حرية بما يسمعون وبما يشاهدون"(٤) :

taÚthn g¦r t¾n ¹lik…an, kaˆ mšcri tîn ˜pt¦ ™tîn, ¢nagka‹on o‡koi t¾n trof¾n œcein. eÜlogon oân ¢polaÚein ¢pÕ tîn ¢kousm£twn kaˆ tîn Ðram£twn. (Arist. Politica, vii, 1336, b).

وبعد ما تم سرده عن تربية الأطفال وكيف أن مثل هذا الموضوع كان ولايزال مثار إهتمام المفكرين والباحثين قديما وحديثا. فلنا أن نسأل الآن عن هوية الطفل اللقيط؟ ولماذا يرى البعض أن هناك أطفالاً لايستحقون عناء التربية؟ فالطفل اللقيط هو الطفل مجهول النسب, هو الطفل غير الشرعى, هو العبد فى العصور القديمة وطفل الشارع فى الوقت الحاضر.

أما عن حقهم فى العناية والتربية, ولماذا يرى البعض أن هناك من لايستحقون ذلك, فهذا ما سنعلمه عند عرض أسباب تفشى تلك الظاهرة قديمًا سواء من خلال الأساطير أو من خلال الحياة الواقعية للإغريق.

<u>ظاهرة الأطفال اللقطاء عند الإغريق:</u>

تمدنا مصادر التاريخ الإغريقى القديم والأدب الإغريقى بصورة صادقة عن حياة الإغريق ونمط سلوكهم الإجتماعى والحضارى, ومن خلالهما يمكن أن نستشف الكثير عن تفاصيل حياتهم اليومية, ونعلم أنهم تميزوا ببعض التقاليد التى عاشت بعضها أمدًا بعيدًا واندثر بعضها الآخر.

وكانت عادة إلقاء الأطفال فى العراء عند الإغريق تعكس جانبًا من عاداتهم الإجتماعية السائدة منذ فترة طويلة, حيث درجوا على تلك العادة بدرجة كبيرة، وخاصة إلقاء الإناث(٥), لذا يجب التعامل مع الألفاظ التى تشير إلى ذلك بحذر شديد, حيث إعتاد الكتاب الإغريق على استخدام أفعال تفيد بالفعل معنى الإلقاء بعيدًا مثل أفعال ἐκτίθημι (ينبذ), ἐκβάλλω (يطرد بعيدًا), ἀποτίθημι (يطرح جانبًا) وهى بطبيعة الحال تختلف فى معناها عن فعل παιδοκτονέω والذى يعنى بالفعل قتل الطفل.

ولاشك فى أن إختلاف المصطلحات اللغوية هنا يكمن فى إختلاف طبيعة الحدث المتخذ فى هذه الجريمة, ألا وهوالقتل أو التسبب فى وفاة طفل حديث الولادة, حيث إن وفاة الطفل تكون هى النتيجة الحتمية للفعل παιδοκτονέω بينما فى حالة إلقائه فى العراء ἐκβάλλω فيكون الموت نتيجة ممكنة وليست بالضرورة تحقيقها وذلك إذا تم إنقاذ الطفل(٦.) لذا كان هذا الموضوع مثار مناقشات وإهتمامات عديدة من قبل الباحثين طيلة قرون عدة(٧.)

وعلى الرغم من أن أغلب تعليقات هؤلاء الباحثين على تلك الظاهرة فى المجتمع الأثينى- فى القرنين الخامس والرابع ق. م. كثيرًا ما كانت تعتمد على السند الأدبى وآراء الفلاسفة والأساطير الخيالية, إلا أنها تقر فى النهاية بأن تلك العادة الغريبة كانت شائعة فى آثينا وأن الأب كان لديه السلطة الكاملة فى تحديد من الذى يتم إلقاؤه أو بقاؤه, وإن كان يتم هذا بصفة خاصة فى حالة الأطفال الإناث(٨) وكان ما يتكبده الأب اليونانى من عبء فى زواج ابنته, فكان من الأسهل هو إلقاؤها منذ البداية(٩.) وهذا ما تعكسه كوميديا بوسيديبوس والتى ترجع للقرن الثالث ق. م. حيث يذكر:

"أن الفرد يرعى إبنا حتى ولو كان فقيرا ,ولكنه يلقى البنت حتى ولو كان غنيا"

ufÕn tršfei p©j k¨n pšnhj tij ín tÚcV, qugatšra d' ™kt…qhsi k¨n Ï ploÚsioj. (Posidippus Comic, Ermaphroditis, Frag. 1, 1.1 2).

هذا فضلاً عن أن ميلاد الأنثى كان لا يتم استقباله بترحاب من قبل الأسرة اليونانية, مثلما كان الحال فى الإبن الولد الذكر. وذلك لما يعتقدونه بأن الغلام هو الذى يخلد إسم الأسرة, بينما الأنثى تكلفهم الكثير فى تقديم الدوطة عندما تشب عن الطوق وتصل إلى سن الزواج. علاوة على ذلك أيضًا أن الأنثى لا يمكنها حماية الوطن وقت الحرب أو الخطر, لذا كانت الإناث تمثل النسبة العظمى لظاهرة إلقاء الأطفال أكثر من الذكور.

وإذا ما تطرقنا لآراء كل من أفلاطون وأرسطو عند تناولهما تلك الظاهرة نجد دلائل عديدة تقر بوضوح الظروف الفعلية لإلقاء الأطفال فى مجتماعتهم المثالية. فعلى سبيل المثال نجد أفلاطون فى كتاب الجمهورية يؤكد أن عدد السكان فى المدينة الفاضلة يجب أن يكون محدودًا, هذا فضلاً عن توجيه حديثه للآباء الذين من الممكن أن يكونوا فى حالة إنتظار مجىء طفل للحياة, ولكنه مشوه وهو مازال جنينًا, فهنا يجب منعه من رؤية الضؤ, وفى حالة إذا تم إنجابه بالفعل فيجب على الآباء إدراك أن ابن تلك الفئة (المشوهة) لايمكن أن يبقى وعلى ذلك يتم الإعداد للتخلص منه(١٠:) ٠

"بالنسبه للنسل الطيب فإنى أعتقد أنهم كانوا يحيطونه بكل رعاية وأنه كانت تقوم على حضانته مربياتٌ يقمن غالبًا على مبعدة فى إحدى ضواحى المدينة. أما النسل الخبيث أو الأدنى, فإن كان مولودًا وبه تشوهات أو عيوب خلقية فعليهم أن يخفوه سرًا فى أماكن غير معروفة أو ظاهرة كما ينبغى لمثله"(١١) :

T¦ mὲn d¾ tîn ¢gaqîn, dokî, laboàsai e„j tÕn shkÕn o‡sousin par£ tinaj trofoÝj cwrˆj o„koÚsaj œn tini mšrei tÁj pÒlewj· t¦ dὲ tîn ceirÒnwn, kaˆ ™£n ti tîn ˜šrwn ¢n£phron g…gnhtai, ™n ¢porr»tJ te kaˆ ¢d»lJ katakrÚyousin æj pršpei. (Plato, *Republic*, v, 460c.).

وإن كانت لغة أفلاطون تبدو غامضة فى تلك الفقرات، إلا أن العلماء قد أجمعوا على أن المعنى الحقيقى الذى يعنيه هو إلقاء الأطفال فى العراء, وعلى الرغم من ذلك نجده فى محاورة تيمايوس Timaeus يزكى بأن أطفال الطبقة الدنيا يتم توزيعهم على الطبقات العليا, دون أى إشارة لإلقاء الأطفال غير المرغوب فيهم,

وهنا يعتقد بعض العلماء أن أفلاطون قد غير من وجهه نظره عند كتابته محاورة تيمايوس(١٢:)٠

Kaˆ m¾n Óti ge t¦ mèn tîn ¢gaqîn qreptšon œfamen eÙnai, t¦ dè tîn kakîn e„j t¾n ¥llhn l£qrv diadotšon pÒlin· ™pauxanomšnwn dè skopoàntaj ¢eˆ toÝj ¢x…ouj p£lin ¢n£gein de‹n, toÝj dè par¦ sf…sin ¢nax…ouj e„j t¾n tîn ™paniÒntwn cèran metall£ttein; (Plato, Timaeus, 19a.)

أما عن نظرية أرسطو السياسية عند تحديد سكان مجتمعه المثالى, فنجده يؤيد القانون الذى ينادى بعدم تربية الطفل المشوه:

"فإذا كان هناك زيادة سكانية, فالإجهاض يتم قبل الإحساس بالحياة وقبل أن تبدأ"

prˆn a‡sqhsin ™ggenšsqai kaˆ zw¾n. (Aristo. Polit., 1335 b 19).

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: ما الذى يمكن استدلاله من تلك الآراء الخاصة بهؤلاء الفلاسفة ؟ فهل ما يريدون الافصاح عنه هو أن تلك الأوضاع هى أوضاع الآثينيين الفعلية وأنها كانت عامة؟ بالطبع الإجابة هنا بالنفى. لأنهم يشيرون إلى المقاييس الملحمية لتحديد عدد السكان, والتى يمكن أن تكون مفزعة لتخيلاتهم السياسية. ففى حقيقة الأمر نجد أن كل من أفلاطون وأرسطو فى كتاباتهما يدعوان لسن قوانين صارمة أو نظام اجتماعى واقتصادى بعيدًا عن كل ما نعرفه من قوانين أثينية بالفعل.

وإذا ما تطرقنا للدوافع الحقيقية لإلقاء الأطفال فى العراء, نجد أنها يمكن حصرها فى عاملين أساسيين ألا وهما:

١) <u>الدافع الاجتماعى</u>:

ويتمثل هذا الدافع فى مكونات المجتمع الاغريقى الذى برز فيه دور رب الأسرة كمسئول وحيد عن زوجته وأولاده, هذا بالإضافة إلى أنه كان أيضا صاحب قرار إبقاء الطفل حيًا أو يتم إلقاؤه فى العراء والتخلص منه لأى سبب يراه هو فقط(١٣.)٠ يضاف إلى ذلك أن تلك العادة كانت تُمارس بين الإغريق الذين كانوا فى مصر وذلك فى نهاية القرن الأول ق. م. وهذا ما يتضح بالفعل من إحدى البرديات والتى هى عبارة عن خطاب شخصى من إحدى الجنود المرتزقة بالاسكندرية

لزوجته ويوصيها فيه بأنها إذا وضعت مولـودًا ذكـرًا عليهـا أن تبقيـه وإذا كـان أنثـى فعليها أن تلقيها فى العراء:(١٤)٠

Ἐὰν πολλὰ πολλῶν τέκῃς ἐὰν ἡ
ἄρσενον ἄφες, ἐὰν ἦν θήλεα ἔκβαλλε[١٤].

كما أن المرأة الأثينية غالبًا ما كانت تعيش فى عزلة تامـة, وعلـى الـرغم مـن نمو دورها فى بعض فترات من التـاريخ الإغريقـى القـديم, إلا أن ذلـك لـم يـؤثر فـى السمة العامة لوضعها الاجتماعى ألا وهو اضمحلال دورها وتقلصه(١٥)٠. فهل مـن الطبيعى افتراض أن صوت الأم الأثينية يطرح جانبًـا بالتبعيـة لـرفض سـلطتها علـى طفلها أو أن تأثيرها فى أمر قدر شرعية طفلها ليس له أى ثقل؟

على أية حال فإن أثينا، ذلك المجتمع الكبيـر الـذى يضـم عـددًا لابـأس بـه مـن العناصر الأجنبية والعبيد, بالطبع كانت تحدث فيه ظاهرة إلقاء الأطفـال فـى العـراء. وكان الأطفال فى هذا العالم يتم التخلى عنهم عـن طريـق الأمهـات غيـر المتزوجـات و العاهرات و ضحايا الفقر و الرذيلة و الوحشية و الحروب والعبودية(١٦)٠ .

وهـذا مـا كانـت تعكسـه بالفعـل كوميـديا مينانـدروس الحديثـة, خاصـةً وأن مسرحياته كان لا يقوم ببطولتها أشخاص معينة بذاتها وإنما هى أنمـاط مـن المجتمـع. هذا فضلاً عما تمتلىء به مسرحياته باللقطاء والفتيات المغتصـبات, وكـان هـذا علـى نحو ما كان شائعا فى أثينا فى ذلك العصر(١٧).٠

وكان الإلقاء عند ميناندروس يتم إما خشـية مـن فضـيحة أمـر شـرعية الطفـل المولود كما حدث فى مسرحية "البطل" حين اضطرت "ميرينـى" أن تلقـى بتوأميهـا فى العراء بمجرد ولادتهما, بعد أن اعتدى عليهـا "لاخـيس" فـى احتفـال ليلـى مظلـم دون أن يفطن كل منهما إلى شخصية الآخر.على الرغم من أنه قد تزوجهـا بعـد ذلـك الحدث بعدة سنوات دون أن يعلم أنها هى نفسها تلك الفتاة التى غرر بهـا مـن قبـل أو حتى يعلم شيئا بأمر التوأمين.

وكذلك أيضا ما فعلـه "خاريسـوس" فـى مسـرحية "المحكمـون" عنـدما ألقـى بطفله فى العراء ظنًا منه أن زوجته خائنة وذلك بسبب ولادتها بعد زواجهمـا بخمسـة أشهر فقط, دون أن يعلم أنه هو نفسه الشخص الذى قام بالإعتداء عليها ذات ليلة وأنه هو الأب الشرعى لهذا الطفل. وإما أن يكون السبب الرئيسى هو الفقر وهذا ما يتضح

جليا فى مسرحية "فتاة مقصوصة الشعر" حين ألقى "بتـايكوس" بطفليـه فـى العـراء فور ولادتهما وذلك عندما أصابه سؤ الحظ والفقر فجأة وبعد أن فقد زوجته.

أما فى مسرحية" الشبح" و"فتـاة سـاموس" لـم يكـن الإلقـاء قـد تـم بالصـورة المروعة التى توجد فـى بـاقى المسـرحيات ولا حتـى فـى الأسـاطير الاغريقيـة. ففـى "الشبح" نجد كيـف أن زوجـة والـد "فيـدياس" اسـتطاعت أن ترعـى طفلتهـا – التـى أنجبتها قبل زواجها على أثر علاقة بينهـا و بـين جارهـا – سـرًا وذلـك دون أن يعلـم الزوج بأمر الطفلة أو أنها موجودة بالمنزل المجاور.

وكذلك نجد "بلانجـون" فـى مسـرحية "فتـاة سـاموس" عنـدما وضـعت طفـلاً أنجبته على أثر اغتصاب "موسخيون" لها , فلم تلقيه فى العـراء بـل عهـدت بـه إلـى "خريسيس" كى تربيه عندها خوفًا من افتضاح أمرهـا, وتوافـق الأخيـرة بغيـة اتخـاذ الطفل عوضًا عن طفلها المتوفى([١٨]).

ولما كان الدافع الأساسى لإلقاء الأطفال عند "ميناندروس" هو إما الخوف من افتضاح أمر عدم شرعية هذا الطفل الذى تم انجابه بسبب اغتصاب أو إغواء – أو أن السبب الآخر هو الفقر, ولما كـان ميناـندروس يحـاكى المجتمـع الأثينـى ويبـرز أحـد مشاكله الإجتماعية والأخلاقية, كان عليه طرح الحل المناسب. وكان الحل من وجهـه نظره دائمًا هو إصلاح خطيئـة الشـاب بـالزواج مـن فتاتـه وذلـك حرصًـا علـى حيـاة اللقطاء وحفاظًا على سلامة العلاقات الإنسانية داخل الأسر فى المجتمع الأثيني([١٩]).

وعلى الرغم من أن ميناندروس كان يهدف بالأساس إلى تسلية الجمهـور, إلا أنه لا ينسى أبدا أن يقدم له الـدرس الأخلاقـى والـذى يـتلخص بصـفة عامـة فـى أن التحمل والتسامح (وهما ما تنتهى بهما مسرحياته) همـا مفتـاح السـعادة البشـرية فـى إطار العلاقات الإجتماعيـة . وذلـك لأن الحبكـة الدراميـة عنـد ميناـندروس ليسـت أسطورية بقدر ما هى محاكاة ما يقع فى الحياة الخاصة للأفراد مـن قضـايا صـغيرة تحدث كل يوم وفى كل منزل. وإن كان ذلك بسبب أن الإنسان فى مسرح ميناندروس قد فقد الأمل فـى أن يحقـق طموحاتـه فـى الحيـاة العامـة, لـذا تحـول للإهتمـام بحياتـه الخاصة([٢٠]).

لذا نجد أن الأطفال غير الشرعيين يكون مصيرهم المحتوم بلا شك هو الإلقاء، حيث إن هذا الطفل لا يمكن أن يكون له هوية إلا عن طريق أسرة معلومة. وكذلك بدون رب الأسرة لايحق للطفل أن يكون له وصى, خاصة وأن أمه لا يحق لها انجاز أية مهام خاصة به([٢١]).

٢) **<u>الدافع الاقتصادى:</u>** والمتمثل فى الفقر الملازم لبلاد اليونان, وهذا بالفعل ما جاء عن هيرودوت حين قال:

"الفقر هو الرفيق الدائم لهيلاس (بلاد اليونان)"

TÍ `Ell£di pen…h mὲn a„e… kote sÚntrofÒj ™sti.(Herod. , VII , 162)

ولقد ذكر هيرودوت هذه العبارة ليدلل على ارتباط الفقر ببلاد الإغريق وأنه سمة بارزة لحياتهم الاقتصادية. ولا شك فى أن ظاهرة الفقر هذه كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بطبيعة البلاد الإقتصادية, حيث كان الاعتماد الإقتصادى قائمًا فى الأساس على الرعى والصيد وبعض الصناعات الصغيرة القائمة على الزيت والصوف وبعض الأوانى الفخارية اللازمة لصناعة النبيذ.

ولقد فرضت الظروف الطبيعية على بلاد اليونان تلك الحياة الإقتصادية الفقيرة, ويرجع ذلك لطبيعتها كشبه جزيرة يحيط بها البحر تقريبًا من كل جانب. هذا بالإضافة إلى كثرة الجبال المرتفعة والوعرة فيها.

ولاشك أيضا أن انتشار العبيد وإزديادهم فى المجتمع الاغريقى نتيجة الحروب العديدة التى دارت فى المنطقة بدء بالحرب الطروادية وانتهاء بالحرب البليبونزية, كانت من أهم العوامل التى ساعدت على تدهور الأحوال الاقتصادية, الأمر الذى أدى إلى قلة فرص العمل أمام الأفراد, فدفعتهم البطالة إلى الاستدانة حتى صاروا عاجزين عن دفع ديونهم, وهذا ما كان يجبرهم فى نهاية الأمر على التنازل عن حريتهم وأن يصبحوا عبيدًا لدائنيهم([٢٢]).

وأيًا كان الأمر فغايتنا هنا تقتصر على إظهار أسباب الفقر وملازمته للحياة الاغريقية, مما كان سببا مباشرا فى تفشى ظاهرة إلقاء الأطفال فى أماكن مهجورة أو بيعهم كعبيد([٢٣]). وذلك لأنهم لن يتمكنوا من تربية أبنائهم تربية حسنة, وخوفا من أن ينقلوا إليهم الفقر, وربما يكون هذا هو السبب الرئيسى المحتمل فى إلقاء الأطفال الأصحاء([٢٤]). غير أن الأطفال الذين يولدون عبيدًا فوضعهم بلا شك أقل وطأة من الأطفال الذين يولدون فى ظل الفقر.

وعلى الرغم من أن إلقاء طفل عبد يُعد فى حد ذاته مفارقة, لأنها فى النهاية يعتبر من الموارد الإقتصادية القيمة عندما يباع كعبد, ومع ذلك كان يتم – فى بعض الأحيان – إلقاء الأطفال عند العبيد حتى ولو كانوا أطفالاً أصحاء, على اعتبار أن الآمات تعتبرن أفواه زائدة لاطعامها فى أسرة فقيرة(٢٥)٠

ظاهرة الأطفال اللقطاء فى الأساطير الإغريقية:

لاشك فى أن تلك الظاهرة قد نالت أهمية بالغة فى علم الأساطير, وعليها قد أولاها الباحثون أهمية مماثلة عند تناولهم لتلك الظاهرة من خلال علم الأساطير ومحاولة الوصول للدوافع الحقيقية لها ومدى إنتشارها فى عالم الأساطير(٢٦.)٠

فعلى سبيل المثال وليس الحصر نجد أسطورة أوديب(٢٧)، والذى يُعد أشهر ضحية أسطورية لظاهرة الإلقاء, وكيف أن أبويه حاولا التخلص منه بتكلفة أحد العبيد بإلقائه بين الأحراش على قمة جبل "كيثايرون" وذلك بعد أن قيدوا قدميه, ولقد تم ذلك بدافع الخوف من تحقيق نبؤة معبد أبوللو فى دلفى والتى كان مغزاها أنه من الأفضل أن الملك "لايوس" يمكث بلا ذرية لأنه فى حالة الإنجاب سيجلب – هذا الطفل- معه الدمار والخراب, حيث ما أفصحت به النبؤة أنه سيتسبب فى قتل أبيه ويتزوج من أمه(٢٨) . وبالرغم من أنه قد تم إلقاؤه بطريقة لا محال لإنقاذه منها, إلا أنه قد تم إنقاذه بالفعل وتحققت النبؤة كاملة بأنه قتل أباه فيما بعد – وبعد أن صار شابا يافعا, وتزوج من أمه "يوكاستا" دون أن يعلم أن هذا والده وهذه أمه(٢٩.)٠

كذلك قصة "باريس"(٣٠)بن برياموس –ملك طروادة – الذى أعطاه والده لخادمه الأمين وأمره بترك الطفل وحيدا على سفح جبل "إيدا" (Ida) كى تلتهمه الوحوش الضارية, وذلك خوفا من تحقيق حلم زوجته "هيكابى" المخيف, حيث شاهدت - والطفل مازال جنينًا فى رحمها – حلما مخيفا مؤداه أنها رأت طفلا وليدا يتحول إلى شرير بمئة يد وفى كل منها شعلة متوهجة يندفع بها عبر طروادة ليحرقها بالنيران ويهدم كل ما فيها. وعندما أرسل برياموس لحكماء طروادة طالبا منهم تفسير ما تعنيه تلك الرؤية المفزعة, أجمعوا على أن الطفل الذى سيولد سيحمل معه الخراب على طروادة, ولهذا نصحوا الملك برياموس بقتل الطفل حال مولده. ولأن برياموس كان مستاء لذلك الفعل, لذا قد اكتفى بإلقائه فى العراء دون قتله. ولكن يشاء القدر

ويبقى الطفل على قيد الحياة دون أن يموت، ويتسبب فيما بعد فى سقوط طروادة وتدميرها.

وأيضا مسرحية "إيون" ليوربيديس([٣١].) ذلك الطفل الذى ألقته أمه "كريوسا" فى العراء والذى أنجبته بعد أن اغتصبها الاله أبوللو, ولكن بعد إلقائه حمله أبوللو الى معبد دلفى. وبعد أن تزوجت كريوسا من كسونوس حليف أبيها ولم يرزق الزوجان بالخلف, فذهبا إلى معبد أبوللو فى دلفى لإستشارته عن سبب العقم. حينئذ حاولت كريوسا – خلسة – الإستفسار عن مصير طفلها الذى تركته فى العراء, ولكنها لم تفلح فى معرفة شىء عنه. ولما جاءت نبؤة دلفى بنصح "كسونوس" باصطحاب أول طفل يصادفه أثناء خروجه من المعبد, وكان هذا هو الطفل "إيون", ولكن لم تتعرف "كريوسا" على فلذة كبدها, لذا حاولت بطرق شتى قتل هذا الطفل ولكنها فشلت, ولما افتضح أمرها لجأت إلى معبد أبوللو هربا من عقوبة الإعدام. وهناك أحضر لها الكهنة قماط الطفل الذى كانوا قد إلتقطوه عندما وجدوه ملقى فى العراء. فتعرفت عليه كريوسا وأدركت أن هذا الطفل الذى حاولت قتله, هو نفسه إبنها من أبوللو.

ومن هنا يمكن أن نستنتج أن الأطفال غير الشرعيين كان لا يمكن الترحيب بقدومهم بوجه عام ولاخفائهم كان يتم القاؤهم منذ ميلادهم.

ولا يخفى علينا أيضا أسطورة الطفل "هيراكليس"([٣٢]) الذى أنجبته "ألكمينى" من الإله "زيوس", ولكنها خشيت عليه من مكائد الربة "هيرا", لذا تركته خارج أسوار طيبة فى حقل من الحقول تحت رعاية والده زيوس. ولكن تشاء الأقدار وذلك بحنكة من زيوس نفسه أن تعثر عليه الربة "هيرا" بنفسها وتشفق عليه وترضعه من ثدييها فتمنحه الخلود ولم يعد بشرًا بعد.

هذا إلى جانب أسطورة التوأمين " أمفيون وزيثوس"([٣٣]) اللذان أنجبتهما "أنتيوبى" أثناء عودتها لطيبة- وهى أسيرة كسيرة – وأصر عمها "لوكوس" على إلقاهما فى العراء بين الأحراش بعد أن قتل زوجها "أبوبوس" وألقى القبض عليها لينتقم منها كما أوصاه والدها "نوكتويس" لأنها فرت من طيبة دون علم أبيها خشية من عقابه بعد علمه بالعلاقة التى نشأت بينها و بين زيوس – فسيطر عليه الحزن وقضى على أمله فى الحياة. وعلى الرغم مما لقيته " أنتيوبى" من تعذيب ومعاملة سيئة – أثناء أسرها وخاصة من زوجة عمها "ديركى" وكان ذلك لمدة عشرين عاما.

فلقد حاولت الهروب مرات عديدة ولكن لم يحالفها الحظ إلى أن غافلت الحراس وأفلتت من قبضة "ديركى", وعندما هامت على وجهها تبحث عن طفليها فى المكان الذى تم إلقائهما فيه, أجهدها طول البحث حتى وصلت إلى كوخ متواضع يعيش فيه أحد الرعاة ووجدت فيه شابين يافعين وعندما لجأت إليهما نهراها دون أن يعلما أنها أمهما.

وبعد عودة الراعى للكوخ علم منهما قصة المرأة المتجولة فطلبا منهما أن يصفاها له, حينئذ علم بأمرها لأنه كان يعلم حقيقة الشابين فقص عليهما قصة تلك المرأة المتجولة وأمرهما بالبحث عنها على الفور لأنها أمهما. وبالفعل عندما أسرع الشابان للبحث عن والداتهما وجدا "ديركى" وهى تمسك بها وتسقيها مر العذاب, فذهبا لإنقاذ أمهما وقبضا على ديركى وربطا خصلات شعرها فى قرنى ثور ثم ضرب أحدهما الثور فهاج وظل يجرى هنا وهناك وهكذا انتقما الولدان لأمهما.

على أية حال نلاحظ أن هجر الطفل وإلقاؤه يتم وهو على قيد الحياة, وهنا نجد أن الأمل فى إبقائه حيا موجودا إذا تم إنقاذه. وهذا الشكل من الوأد المزعوم ينقل من مرتكب الجريمة مسئولية الفعل المباشر لقتل الطفل, حيث إن الشخص الذى يقوم بتنفيذ هذا الفعل أحيانًا ما يكون شخصًا غير الآباء الذين يأمرون بإلقاء الطفل كما فى حالة "أوديب" حيث أمر والده أحد الرعاة بإتمام ذلك الفعل الوحشى.

ولا شك فى أن إلقاء الأطفال فى العراء فى مهب الريح والمطر والشمس والثلج بين الحر والبرودة وتعرضه للحيوانات المفترسة والطيور الجارحة, كان من شأنه إثارة الرحمة والشفقة. ولما كان المنزل هو أساس الوحدة الأسرية عند الاغريق القدامى منذ العصور القديمة والكلاسيكية والهللينستية, فكان يتم الإلقاء كوسيلة للتخلص من الأطفال غير المرغوب فيهم. فى الأسرة٠

وفى الوقت ذاته لابد من إدراك أن الإلقاء مختلف عن قتل الطفل, لأن الطفل الذى يتم إلقاؤه لم يكن قد أصبح عضوا مألوفا فى الأسرة بعد, حيث يتم إلقاؤه فور مولده. تلك الأسرة التى ربما يكون لديها بالفعل أطفال آخرون أو سيصبح عندها أطفال أكثر فى المستقبل.

وفى تلك الروايات الطيبية – سالفة الذكر – نجد مفاتيح لحل هذا اللغز, لأنها تلقى الضوء على موقف الإغريق من تلك الظاهرة, وأيضا تدل على عدم إستقرار المنزل الذى يعج بالأزمات المهلكة. وغالبا ما يكون هذا الطفل هو الطفل الوحيد للأسرة.

ولا شك فى أن أسلوب إلقاء الطفل فى العراء حيا كان ذا أهمية, لأن ذلك يضمن للطفل فرصة بقائه على قيد الحياة. هذا فضلا عن أن تلك الميزة فى أسلوب الإلقاء, كان يتخللها دافع الورع الذى يمنع أى تهديد بالدنس والتلوث من الإلقاء, حيث لم يتم قتل الطفل بالفعل([٣٤].)٠

وكان هذا الموقف بالطبع يتميز بالسخرية الواضحة, فرغم أن الإلقاء كان يتم بهدف قتل الطفل, إلا أن أساليب تنفيذه كانت تتم بطريقة تمنح الضحية فرصة البقاء على قيد الحياة. وإذا كان إلقاء الأطفال فى العراء يعنى القتل البطىء والوحشى, إلا أن أطفال الروايات غالبا لم يموتوا. وإذا كان دافع الخوف هو الذى كان يحرك أبطال الروايات لممارسة تلك الظاهرة, فيجب أن نعلم هنا أن الخوف ليس المقصود به الخوف من الأطفال كأطفال, وإنما مما سيحدث عند وصول هؤلاء الأطفال لسن البلوغ وتحقيق نبؤة مفزعة على أيديهم.

وعلى أية حال – وحتى عند الوصول لسن البلوغ – نجد أن بعض الضحايا الذين تم إلقاؤهم لابد أن يقضوا جزء من حياتهم خارج الوطن, كما هو الحال فى "أوديب" و"أمفيون" و"زيثوس" و"هيراكليس"..... وغيرهم.

وعلى الرغم من أن أطفال الروايات لم يكونوا من الخالدين إلا أن منقذيهم من الممكن أن يمنحوهم هذه الميزة دون قصد ٠ . كما هو الحال عند "هيراكليس". فبالرغم من أنه تم إلقاؤه بواسطة أمه بسبب خوفها من غضب الربة "هيرا", إلا أنه تم تخليده بطريقتين: أولا: كونه ابن "زيوس". ثانيا: تم إرضاعه و رعايته بواسطة الربة هيرا نفسها, وإن كان قد تم ذلك بدون قصد منها([٣٥])٠ .

<u>تصنيف الأطفال اللقطاء:</u>

عندما كان إلقاء الأطفال يتم بطريقة يمكن من خلالهاالعثور على هذا الطفل وإنقاذه, كتركه خارج البلدة أو المدينة, وفى أماكن أصبحت أقل هلاكا حيث إن إلقاء

الأطفال فيها يكون أكثر حظا ليتم العثور عليهم, تلك الأماكن كانت مقصدا لمن لـديهم الرغبة فى العثور على أطفال لقطاء (٣٦) ٠.

وكان الأطفال الذين يتم العثور عليهم ومراعاتهم بواسطة غرباء, يُطلق عليهم لفـظ θρεπτέοι, وكـان الآبـاء الجـدد مـن المحتمـل أن يكونـوا أبـاء فقـراء (٣٧) أو من الأسرة المالكة(٣٨) وأيًا كان عدد هـؤلاء الـ- θρεπτέοι فهـم يمثلـون جـزءً هامًا فى المجتمع الاغريقى(٣٩) دون أى اعتبار لممارستهم لظاهرة إلقاء الأطفال فى العراء. هذا فضـلاً عـن الأطفـال الـذين يحملـون لقـب ال κοπρώνυμος هـذا اللقـب المشتق من كلمة κόπρος والتـى تعنـى "مكـان القمامـة" وأن حـاملى هـذا الإسـم هـم لقطاء تم تجميعهم من أماكن القمامة, أو أنهم منحدرون من سلالة لقطاء. وأحيانا نجـد منهم من تم إنقاذه وأصبح عبدًا ومنهم من تم تبنيه بواسطة أحرار. ولا شك في أن من تم تبنيه هو أسعد حظا من هؤلاء الذين يقضون حياتهم عبيدًا(٤٠)٠ .

ومن هنـا يمكـن تصـنيف اللقطـاء إلـى مجمـوعتين: مجموعـة "أ" ومجموعـة "ب" فأطفال مجموعة "أ" كان يتم إلقاؤهم وهناك أمل سواء كان صغيرا أو كبيرا فى العثور عليهم وإنقاذهم, أما أطفال المجموعة "ب" فكان يتم إلقاؤهم بطريقة غالبـا مـا يكون الموت هو مصيرهم المحتوم.

كما يمكن حصر أسباب إلقاء المجموعة "أ" والتى غالبا ما تنحصر فى أسباب اقتصادية ومتمثلة أساسا فى عامل الفقر. أما أطفال المجموعـة "ب" غالبـا مـا يكـون السبب الأساسى هو عدم شرعية الطفل أو أن لديه عيبا خلقيـا, وأحيانـا يكـون السـبب غامض وغير واضح.

هذا فضلا عـن الآبـاء الـذين غالبـا مـا كـانوا يلقـون أطفـالهم ويتركـون معهـم علامات γνωρίσματα على أمل أنه إذا تم إنقـاذهم ستسـاعدهم تلـك العلامـات علـى التعرف عليهم فيما بعد. وإن كان ذلك لم يكن دليلا قويا على احتمال إبقائهم علـى قيـد الحياة.

ولا شك في أن هناك بعـض الآبـاء الـذين يقـدمون علـى ارتكـاب هـذا الفعـل, يأملون أن الضرورة أو الشفقة لدى أى شخص تدفعه لانقاذ هذا الطفـل وإبقائـه علـى قيد الحياة. ولكن لايوجد لدى أى فرد الإحساس الأكيد بأن ذلك سيتم بالفعل. حيـث إن

أغلب الأطفال الذين يتم إنقاذهم, فى حقيقة الأمر يتم ذلك فى أقاليم تشتد فيها الحاجة للعبيد, وذلك لأن العبودية كانت من أكثر الأشياء شيوعًا كمصير حتمى للقطاء(٤١)٠

.

ومن ثم يمكن حصر الأسباب الفعلية لإلقاء الأطفال فى العراء سواء عند الشعب الأثينى أو فى الأساطير الإغريقية فى النقاط التالية:

(١)<u>عدم شرعية الطفل</u>: حيث كان قتل الطفل غير الشرعى أو إبعاده يعتبر شيئا مألوفا. فبدون أب معلوم لا يمكن للطفل أن يكتسب هويته أو أن يكون له مكان حقيقى فى الأسرة ولا يدرج فى صلة قرابته من جهة الأب. وكان الابن غير الشرعى لا يمكن أن يرث شيئا من ممتلكات والده, وإن كان "سولون" يسمح للأب أن يعطى لابنه غير الشرعى من (الزنا) جزء بسيطا من ممتلكاته(٤٢)٠

فضلا عن ذلك أيضا كانت تحدث الغير شرعية عن طريق الأمهات الصغيرات غير المتزوجات, وبالتالى كان من الأسوأ أن يبقى الطفل فى يد أمه. وهذا ما حدث بالفعل عندما نرى قرار "كريوسا" – التى حملت من "أبوللو"- بإلقاء طفلها "إيون" حديث الولادة خوفًا من أمها, وتم تنفيذ الحدث بالفعل دون معرفة أى من الأبوين. على الرغم أنه كان من الصعب أن نتخيل كيف لها أن تخفى سر حملها, كما يلاحظ أن مساعدة "أبوللو" لها عند الولادة كانت واضحة وذلك عندما جعل الولادة سهلة وبدون ألم (٤٣)٠

و فى ظل تلك الظروف الإقتصادية والمستقبل غير المضمون للطفل فضلت عديد من السيدات اللاتى حملن طفلاً غير شرعى عدم تربية هذا الطفل.

<u>(٢) الفقر :</u>

وإن كان يبدو هذا السبب مقنعا أحيانا إلا أنه ضعيف, ويرجع هذا إلى أن ما يتكلفه الآباء فى تربية الطفل (حديث الولادة) سواء من طعام أو من ملبس فى بدايات حياته لم تكن مكلفة على الإطلاق حتى ولو كان هذا الأب يعمل لمجرد كسب قوته اليومى فقط, لأن كل ما يحتاجه الطفل من مأكل أو ملبس فهو يصنع بطريقة مبسطة فى المنزل, وبالتالى لم تكن تربية الطفل مرهقة إقتصاديا على الإطلاق (٤٤)٠ .

وإن كان دافع إلقاء الأنثى نابعا أساسا من مخاطر تقسيم الإرث وما تتكبده الأسرة أيضا من نفقات باهظة فى دفع مهر البنت عند الزواج. هذا بالاضافة إلى ضغط الكثافة السكانية والتى تسببت فى عدم توازن المعدل الجنسى بين الأولاد والبنات(٤٥)٠. وإن كانت الدراما الاغريقية قد تميزت فى بعض الأحيان بالصراع بين الزوج والزوجة والأب والابن, فمن جهة أخرى نجد العلاقة بين الأب وابنته تميزت بالحب والإخلاص المتبادل(٤٦)٠

(٣) <u>التشوهات الخلقية :</u>

حيث كان التخلص من الأطفال ذوى العيوب الخلقية أمرا مألوفا فى العصر اليونانى القديم, هذا بالاضافة إلى آراء كل من أفلاطون وأرسطو التى كانت تؤيد ذلك الموقف, حيث إن الأطفال المشوهه يجب إخفاؤها فى أماكن سرية. ونجد من جهة أخرى توصيات من الطبيب "سورانوس"- فى مؤلفه الخاص بطب النساء (القرن الثانى للميلاد) (٤٧) –يوصى فيه القابلات بالإلتزام بمعايير خاصة, يجب فحص الطفل حديث الولادة من خلالها, حتى يتم تحديد هل هذا الطفل بالفعل يستحق عناء التربية أو أن يتم إلقاؤه وتتمثل تلك المعايير فى النقاط التالية:

١- أن تكون الأم بصحة جيدة.
٢- أن تكون ولادة الطفل تمت بعد إتمام مدة الحمل كاملة.
٣- أن يبكى الطفل بقوة فور ولادته.
٤- التأكد من كمال جميع أجزائه.
٥- أن تكون قنواته خالية من أى عوائق.
٦- الوظائف الطبيعية لأى عضو يجب ألا تكون بطيئة.
٧- يجب أن تنحنى مفاصله وتمتد بسهولة.
٨- يجب أن يكون متمتعا بحجم وشكل طبيعى ويشعر بالأشياء المثيرة من حوله.

وإن كان نادرا ما يتم هذا الفحص, إلا أنه فى حالة عدم وضوح حالة المولود, تتم إستشارة القابلة أو السيدات الأقارب. وعلى أية حال, فإذا كان هذا الطفل – سواء ذكر أم أنثى – لم يتمتع بصحة جيدة, فمن الأفضل إلقاؤه فى العراء أملا فى أن يحظى أبواه بأفضل منه فى المرة القادمة.

وفى حالة ما إذا كان هذا الطفل مشوها أو أعرج أو ما شابه ذلك, وكان مولودا لأسرة بدون وريث ذكر, فقرار تربيته من عدمها يكون من الصعب تقبله بسهولة.

وأيا كان الأمر فاتخاذ مثل هذا القرار كان متوقفا على رغبة الأسرة فى إبقاء هذا الطفل أم لا

(٤) <u>الفأل أو اليأس :</u>

وكان الفأل هو السبب الرئيسى الذى نجده فى القصص الأسطورية والمتمثل أحيانا فى معالجة الآباء لهذا الوضع, كتأثر ملك بنبوءة ما, كما هو الحال فى أسطورة "أوديب", أو فى تأثره برؤية غامضة بأن الطفل الذى سيولد سيكون مصحوبا بتهديد مروع فيأ مر بقتله مثلما الحال فى أسطورة "باريس".

أما عن اليأس فهذا ما نجده عند الأمهات اللاتى تلقين بأطفالهن فى العراء لأنهن ليس لديهن الرغبة فى تربية أطفالهن فى ظل العبودية, وكذلك أيضا الأمهات اللاتى يتم طلاقهن أثناء حملهن فيكون رد الفعل الطبيعى هو إلقاء الطفل حديث الولادة, هذا بالإضافة للأمهات غير المتزوجات و العاهرات(٤٨)٠

وإن كان هناك أسباب محددة بالفعل لتفسير ظاهرة إلقاء الأطفال فى العراء, فلا شك فى أن فرص إنقاذ هؤلاء الأطفال وإبقائهم على قيد الحياة تتوقف هى الأخرى على عدة عوامل بالاضافة – بلا شك – إلى عنصر الحظ, وتتمثل تلك العوامل فى النقاط التالية(٤٩)٠ :

١- الظروف الطبيعية لتكوين الطفل حديث الولادة. [أى هل به أية تشوهات أو عيوب خلقية أم لا].

٢- هل أن عملية الإلقاء تمت بطريقة تساعد على إنقاذه وإبقائه حيا أم لا. حيث إبعاده عن الهلاك واليأس فى العثور عليه.

٣- أن يوجد أفراد لديهم الرغبة فى رعاية طفل كعبد, ومدى حاجة المجتمع لعبيد.

٤- نوع الطفل اللقيط, حيث إن الصبية كان لهم الحظ الأوفر فى الإنقاذ أكثر من البنات. وإن كانت البنات أكثر عرضة للإلقاء عن الصبيان, إلا أنه لم يكن هناك تفاوت عال بينهما(٥٠)٠

وفى حقيقة الأمر كان قدر الطفل اللقيط بلا شك متوقفا على الشخص الذى يقوم بإنقاذه, فإذا تم إنقاذه ربما يتم تبنيه ورعايته عن طريق آباء ليس لديهم أطفال أو رعايته ليصبح عبدا (٥١)٠ .

هذا بالإضافة إلا أن هناك بعض الآباء الذين كانوا يعهدون بأبنائهم سواء ذكورا أو إناثا للقاضى ليعهد بهم لمن يرغب فى تربية طفل وكان يتم ذلك مقابل تكلفة بسيطة [وكأنها عملية بيع طفل] ولا شك في أن هذا الوضع أخف وطأة من إلقاء الطفل فى العراء. وأحيانا كان يحق لهذا المربى أن يتخذ هذا الطفل عبدا له مقابل تربيته. وعلى هذا كان الإلقاء بتلك الصورة يعتبر مصدرا هاما من مصادر عبيد المنازل(٥٢)٠

نتائج البحث:

لاشك فى أن تناول موضوع إلقاء الأطفال فى العراء سواء من الجانب الواقعى أو الأسطورى تكمن أهميته فى سببين:

أولا: أنه يتعرض لوضع المرأة فى أثينا, فلسنا بحاجة إلى أن نعتقد أن الأمهات أو الآباء الذين كانوا يلقون أطفالهم فى العراء, كانوا يفعلون ذلك بدافع عدائى أو يشعرون بالاثم تجاه ذلك. ولكن كان الهدف أو النزعة الأساسية التى تدفعهم لإلقاء البنات أكثر من الصبية تكمن في أن هناك أهمية عظمى فى تربية الأولاد أكثر من الإناث لما كان ما يتمتع به الرجال من مكانة هامة عن النساء.

هذا فضلا عن أن عادة التخلص من الإناث كانت تعنى التخلص من الأطفال ذوى العيوب الخلقية, نظرا لأسباب تتعلق بالولادة أو لأسباب اجتماعية. فعلى أية حال كان الإلقاء فى العراء مرتبطا بالتقدير الأعلى للذكور(٥٣)٠

ثانيا: لايمكن اعتبار السند الأدبى سندا حاسما فى ذلك الموضوع أو أنه دليل قوى على ممارسة تلك الظاهرة فى أثينا فى العصر الكلاسيكى. وذلك لأن هذا الدليل مقدم عن طريق أسطورة أو إشارات أدبية ودوافع درامية لكوميديا القرن الرابع ق. م. وكذلك من خلال القوانين المفترضة الخاصة بأفلاطون ورؤية أرسطو السياسية لإسبرطة. فإذا كان يتضح ذلك من فقرة الإبيجراما لشاعر الكوميديا "بوسيديبوس" والتى ترجع للقرن الثالث ق. م., فهناك أيضا إشارات لمؤلفين آخرين مثل أفلاطون وأرسطو تشير إلى أن الإناث حديثى الولادة كان يتم استقبالهم بترحاب مثل الأولاد(٥٤) .

ويتضح ذلك عند أرسطو – كما ذكرنا – عند تفسيره للسعادة بأنها متمثلة فى امتلاك أطفال عديدين سواء كانوا ذكورا أم إناثا بشرط أن يكونوا بصحة جيدة.

وأيضا عند أفلاطون فى كتابه "القوانين" عندما لا يعطى حدا أدنى لعدد الأطفال لدى الأسرة وإنما على الأقل أن يكون لديها ولد واحد وبنت واحدة(٥٥)٠

كما يجب ألا نغفل مشاعر الآباء وبصفة خاصة الأمهات عند وفاة أطفالهن. هذا فضلاً عن اهتمامهم بهم حتى بعد الوفاة, وهذا ما يتضح من شواهد القبور كدلالة على إحياء ذكرى الأطفال الصغار. وإن كانت مراسم الدفن فى المجتمعات الاغريقية تختلف فيما بينها, فإنما يعنى ذلك إختلاف مشاعر الآباء تجاه أطفالهم من مجتمع لآخر.

كذلك أيضا فى التراجيديا الإغريقية كان الأطفال المحكوم عليهم بالإلقاء فى العراء(٥٦) يتم وصف ذلك الحدث بمزيج من الشفقة والأسى اللذان يعكسان العاطفة الشديدة تجاه الأطفال.

وإن كان أطفال الأساطير الإغريقية المحكوم عليهم بالإلقاء كانوا غالبا من الذكور , بعكس ما كان سائدا فى المجتمع الأثينى بأن البنات هن الاتى كن يتم القاؤهن بصورة أكبر من الأولاد .ويأتى هذا الإختلاف بين الواقع و الأسطورة أن المجتمع الأثينى كان يهتم بالأولاد أكثر من البنات و ذلك لإحتياج المجتمع للرجال بصورة أكبر من الإناث .هذا فضلا عما تتكلفه البنت من مبالغ باهظة عند زواجها .

أما فى الأساطير فكان الدافع السائد هو الخوف مما سيحمله هذا الطفل من دمار مروع وهلاك مفزع على أهله بل وأحيانا على وطنه أيضا.

ولازالت ممارسة إلقاء الأطفال فى العراء عبارة عن فعل خاص لأسر خاصة تحت ظروف خاصة. والأدلة الحديثة التى نحاول بها فهم تلك الظروف الخاصة ضئيلة, حيث إن ما يقدمه الكتاب القدماء هو لمحات ضئيلة من خلال مواقف ومشاعر شخصية(٥٧)٠

.

ومهما سجلنا من حالات عن قتل أو إلقاء الأطفال فى العراء, فلا يزال سؤال أفلاطون للآباء قائما وهو:

"هل تعتقد أنه يجب تربية طفلك فى أى حال ولا يلقى فى العراء؟ هل ستتحمل أن تراه و قد تعرض (للموت)؟ ولم تتأثر إذا كان أول وليد لك سيؤخذ بعيدا أم لا؟.

À sÝ o‡ei p£ntwj de‹n tÒ ge sÕn tršfein kaˆ m¾ ¢potiqšnai, À kaˆ ¢nšxV ™legcÒmenon Ðrîn, kaˆ oÙ sfÒdra calepane‹j ™£n tij soà æj prwtotÒkou aÙtÕ ØfairÍ; (Plato, Theatetus, 161a).

الهوامش:

[1] Lindsay J., *Daily life in Roman Egypt*, London, (1963), pp. 52-53.

[٢] فاطمة الزهراء هاشم: الروابط الأسرية فى مصر الرومانية فى ضوء الوثائق البردية, رسالة ماجستير- كلية الآداب – جامعة القاهرة (١٩٩١) ص ٤٨, قارن أيضا عبد العزيز صالح: التربية و التعليم فى مصر القديمة, الدار القومية للطباعة والنشر, القاهرة, (١٩٦٦), ص٦٣.

[٣] إبراهيم نصحى: تاريخ التربية و التعليم فى مصر, الجزء الثانى, عصر البطالمة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, (١٩٧٥) ص٢٩. ويحدثنا ديودورس الصقلي عن أسلوب تربية المصريين لأطفالهم – عندما زار مصر عام ٦٠ ق. م.– بأنه أمر بسيط وغير مكلف على الإطلاق وكان الآباء لا يعانون من عبء تربية أطفالهم, حيث كانوا يطعمون أطفالهم بأسلوب قليل التكلفة ويتميز بالسهولة, حيث كانوا يزودنهم بأطعمة مسلوقة يمكن تجهيزها فى يُسر من جذور نبات البردى, كما كانوا يتركون معظم أطفالهم عراة, حفاة. ويرجع ذلك لاعتدال الطقس فى هذه المناطق وكانت تكلفة تربية الطفل لا تزيد عن عشرين دراخمة، انظر: (Diod., I, 80).

[٤] فاطمة الزهراء هاشم , المرجع المذكور , ص ٥.

[٥] المرجع نفسه, ص٨٣.

[6] Patterson C.: "Not worthing the Rearing"; the causes of infant exposure in Ancient Greece, *TAPA*, 115, (1985), pp. 103ff.

[7] Pomeroy S. B.: "Copronyms and the exposure of infants in Egypt", in *Studies in Roman law in Memory of Arthur Schiller A.* (1986), pp. 147-162; Cf. also, Huys A.; "ἔχθεσις & ἀπόθεσις: The terminology of infant exposure in Greek antiquity", *AC*, 58, (1989), pp. 190-197; Cf. also Engels

D.: "The problem of female infanticide in the Greco – Roman world ", *CPH* 75, (1980), pp. 112-120.

[8] La Rue van Hook: "The exposure of infants at Athens" *TAPA* 51, (1920), p. 135.

[9] Lewis N.; *Life in Egypt under Roman Rule*, Oxford, (1932), p.107.

[10] Cameron A.: "The exposure of children and Greek Ethics" *CR* 46, (1932) , p. 107.

[١١] فاطمة الزهراء هاشم : المرجع المذكور , ص٨٧.

[12] La Rue van Hook: op. cit. p. 142.

[13] Harris W. V.; "The Roman father's power of life and death", in *Studies in Roman law in Memory of A. Arthur Schiller*, (1986), pp. 18-99.

[14] P. Oxy. IV , 744, (I B. C.) .

[١٥] عبد اللطيف أحمد على: التاريخ اليونانى (العصر الهيلادى) بيروت, (١٩٧٦) ص٤٨.

[16] La Rue Van Hook: op. cit. p. 145.

وعلى الرغم من انتشار تلك الظاهرة فى أجزاء عديدة من الإمبراطورية الرومانية, إلا أنها كانت قاصرة على الأطفال غير الشرعيين أو الذين لديهم عيوب أو تشوهات خلقية. وإلى جانب ذلك كان هناك رفضٌ من قبل بعض الرواقيين لتلك الظاهرة وحرص شديد بأن كل الأطفال أو على الأقل الشرعيين منهم والذين يتمتعون بتكوين طبيعى لابد أن يبقوا على قيد الحياة قارن:

Harrhs W. V.: "The child – exposure in the Roman Empire", *JRS* 84 (1994) p. 1.

[١٧] أحمد عتمان: الأدب الاغريقى تراثا انسانيا وعالميا, دار المعارف, (٢٠٠٠) ص٣ وما يليها.٠٠٠وإذا كانت الكوميديا الحديثة من جهة تعكس الظاهرة, فمن جهة أخرى لا يمكن إتخاذها بأنها تعكس السلوك الفعلى للمواطنين الآثينيين فى أى عصر. وذلك على عكس ما تقدمه الدراما, حيث إن الكوميديا تهتم بعرض كل ما هو غير مألوف وتحاكيه وتبالغ فيه بنوع من السخرية. وبالنسبة للتسلية لم تتخير الكوميديا الشاب الرشيد كشخصية مثالية ومعصومة من الخطأ ولكنها اختارت الشاب الفاسد والابن المتمرد والمبذر وهكذا٠٠٠٠٠. كما تعرض لنا أيضًا لنماذج من العبيد يتصفون بالنذالة وعدم الإخلاص ...., كما أنها تفضل أن تصور الشخص المتملق والعالة وليس المعتدل والمحترم لذاته. وذلك يرجع الى أن نجاح الكوميديا يعقد أساسا على وصف أو تصوير كل ما هو شاذ وغريب ومستثنى من القاعدة وعلى ذلك قارن:

La Rue Van Hok ; op. cit. p. 140 .

[١٨] محمد حمدى ابراهيم: نظرية الدراما الاغريقية, لونجمان, (١٩٩٤) ص٢٥٦ ومايليها.

[١٩] سيد صادق: "الاغتصاب والإغواء بين القانون الأثينى وكوميديا مناندروس"، مجلة أوراق كلاسيكية, العدد الخامس, (٢٠٠٤), ص١٤١.

[٢٠] أحمد عتمان: المرجع المذكور, ص٣٦٢.

[21] Patterson C.; op. cit. p. 115.

[٢٢٢٢] فاطمة الزهراء هاشم: المرجع المذكور, ص٨٤, ولم يكن إلقاء الأطفال فى العراء متسببا فى تحديد حجم الأسرة فقط, بل كان يعتبر أيضا عاملا قويا بل ومصدرا رئيسيا للانتقال من الحرية إلى العبودية. قارن:

Harris W. V.: "Towards a study of the Roman slave trade", *MAAR* 36, (1980), pp. 123-124.

[23] Cameron A.; op. cit., pp. 166ff.

[24] Harris W. V.; "Child – Exposure in the Roman Empire", *JRS* 84, (1994), p. 6 .

[25] Ibid: p. 14.

[26] Engels D. op. cit., pp. 112ff. Cf. also Eawson B.; *The family in ancient Rome*, London, (1986), p. 172..

[27] Graves R.; *The Greek Myths*, London, (1958), pp. 371ff.

[٢٨] عبد المعطى شعراوى: أساطير اغريقية (أساطير البشر), الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٨٢) ص. ٢٣٩

[٢٩] وعلى الرغم من أن الملك "لايوس" والد "أوديب" حاول جاهدا بألا تتاح الفرصة لتحقيق تلك النبؤة بمحاولة البعد عن زوجته, إلا أن هناك بعض المصادر الأدبية التى تروى أن "لايوس" لم يعط أى اهتمام لما قالته نبؤة أبوللو بشأن الطفل الذى سيولد وأنه سيقتل والده "لايوس". قارن: عبد المعطى شعراوى: المرجع المذكور, ص٢٤٥, ملحوظة ٩.

[30] *Oxford Classical Dictionary*, p. 648, s.v. Paris. Cf. also

فاطمة الزهراء هاشم: المرجع المذكور, ص٨٥.

[٣١] أحمد عتمان: المرجع المذكور, ص٣١٩.

[٣٢] عبد المعطى شعراوى: أساطير اغريقية (أساطير البشر), ص٣٦٧.

[٣٣] المرجع نفسه: أساطير إغريقية (أساطير الألهة الصغرى), الجزء الثانى, مكتبة الأنجلو المصرية, (١٩٩٥) ص٧٧ وما يليها.

[٣٤]ومن القصص المشهورة فى العصر القديم بخلاف تلك الأساطير نجد قصة موسى عليه السلام وفرعون مصر الذى تنبأ له العرافون بأن نهايته ستكون على يد طفل يهودى سيولد فى مصر. ونتيجة لذلك يصدر فرعون أمرا بقتل كل طفل ذكر يولد ولكن يشاء القدر وينجو موسى من الموت, حيث تضعه أمه فى صفط وتلقى به فى نهر النيل ويتم التقاطه بواسطة زوجة فرعون نفسه التى تقوم بتربيته حتى يكبر ويقضى على فرعون. قارن:

Mohamed I. A.: "Exposure of children in Antiquity as a literary tradition and a Historical fact", *BSAN*, (1974-75), pp. 79ff

[35] Harlick S.: Cruelty towards children in Theban traditional tales: Master degree, department of classics Memorial university of New found land, (1998), pp. 35ff.

[36] Patterson C.: op. cit. p. 122 Cf. also Harris W. V. "Child – Exposure in The Roman Empire", p. 9.

[37] كما حدث فى حالة التوأمين "أمفيون" و"زيثوس" حيث تولى رعايتهما راع فقير.

[38] مثلما الحال فى أسطورة "أوديب" وأن من قام برعايته هو الملك "بوليبوس" وزوجته الملكة "ميروبى

[39]Harlick S. : op. cit. p. 38 , cf. also Patterson C. ; op. cit. pp. 122 ff .

[40]وإذا كان هؤلاء الأطفال الذين يحملون لقب κοπρώνυμοι يمثلون دليلا قيما وشاهدا واقعيا على ممارسة واقعة إلقاء الأطفال فى مصر الرومانية, [٣٥] .ومن جهة أخرى نجد أنه كانت هناك ضريبة تفرض على هؤلاء الذين ينقذون طفلا ذكرا من أماكن القمامة, وكانت الضريبة جثيمة تصل إلى حد ما حيث تمثل ٤/١ ضيعته, وإن كان يبدو العقاب جثيما إلا أنه لم يعرف سبب ذلك. قارن:

Harris W. V. ;"Child – Exposure in the Roman Empire", p. 8 & Taubensclag R.; The law of Graeco- Roman Egypt in the light of papyri, *Warzawa* (1955), pp. 133-136.

[41] Ibid; pp. 9 ff. & "Towards a study of the Roman Empire", p. 123.

[42] Davies J. K.; *Athenian propertied*, Oxford, (1971), pp. 364-368.

[43] Patterson C.; op. cit. p. 116.

[44] Ibid; p. 117

[45] إذا كان الشعب الأثينى يقدم أسباب الضغط السكانى والوضع الاقتصادى السيء كدافع لممارسة تلك العادة البربرية الخاصة بإلقاء الأطفال, فلنا أن نسأل عن طبيعة الحياة فى أثينا فى

القرن الخامس والنصف الأول من القرن الرابع ق. م., فهل كان يوجد تكديس سكانى فى أتيكا؟ هل كانت توجد بطالة عامة وانتشار للفقر وفساد أخلاقى فى المجتمع؟ فلا شك بأن الاجابة تكون بالنفى. حيث كان يتم الترحيب بالأجانب والأنشطة التجارية, ويعم الرخاء الاقتصادى على المواطنين. وكان كل ذلك يتم بمساعدة العبيد الذين كانوا لا يمثلون عددا ضخما. هذا فضلا من أنه فى نهاية القرن الخامس نرى قوى رهيبة تعمل على تقليل عدد السكان فى أتيكا بصرامة, ألا وهى الفاجعة الكبرى للحرب البليبونيزية التى أرسلت ألاف الآثينيين للموت واستنزفت الكثير من الكثافة السكانية, وليس بذكر أن معدل الوفيات مرتفع عامة وبصفة خاصة بين الأطفال. ومن ثم فلنا أن نتخيل هل من المعقول أن يعزى للآثينيين فى هذه الفترة ممارسة إلقاء الأطفال فى العراء بصورة واسعة. قارن:

La Rue Van Hook; op. cit. p. 141

[46] ويظهر ذلك الحب والوفاء عند "أنتيجونى" ومدى علاقتها الطيبة بأبيها وتعاطفها معه وحرصها بألا تتركه وحيدا, حيث فضلت الرحيل معه على البقاء فى وطنها. قارن: عبد المعطى شعراوى: أساطير اغريقية (أساطير البشر), ص٢٥٩.

[47] Patterson C.; op. cit. p. 114.

[48] La Rue Van Hook; op. cit. p. 145.

[49] Harris W. V.; "Child-Exposure in the Roman Empire", p. 11.

[50] Wiedemann T.; *Adults and children in the Roman Empire*, (1989), p. 36.

[51] La Rue Van Hook; op. cit. p. 145. cf. also P. Oxy. I, 37.

[52] Patterson C.; op. cit. p. 122.

[53] Golden M.: "Demography and the Exposure of girls at Athens", *Phoenix* 35, (1981), p. 316.

[54] La Rue Van Hook; op. cit., p. 145.

[55] Plato's Laws, II, 93c .

[56] Golden M.: "Did Ancient care when their children died?", *Greece & Rome*, 2nd series 35, No. 2, (1988), p. 152.

[57] Patterson C.; op. cit., p. 122.

المصادر

Aristotle , Politics, VII,1336 b , L.C.L.

" , Rhetoric , 1360 b , L.C.L.

Diod , I , 80 , L.C.L.

Herod. , VII , 162 , L.C.L.

Oxford Classical Dictionary , s. v. Paris .

Plato's Law , I , 643 bc , L.C.L.

" " , II , 93 c , L.C.L.

" Republic , II , 376 e , L.C.L.

" " , V , 460 c , L.C.L.

" Theatetus , 161 a , L.C.L.

" Timaeus , 19 a , L.C.L.

P. Oxy. , I , 37 – 38 (49 A.D.)

" " , IV , 744 (I B. C.)

Posidippus comic , frag. I .

المراجع العربية

ابراهيم نصحى : تاريخ التربية و التعليم فى مصر , الجزء الثانى , عصر البطالمة , الهيئة المصرية العامة للكتاب , (١٩٧٥) ٠

أحمد عتمان :الأدب الإغريقى تراثا انسانيا و عالميا , دار المعارف , (٢٠٠١) ٠

سيد صادق : " الاغتصاب و الاغواء بين القانون الأثينى و كوميديا مناندروس " مجلة أوراق كلاسيكية , العدد الخامس , (٢٠٠٤) ٠

عبد العزيز صالح : التربية و التعليم فى مصر القديمة , الدار القومية للطباعة و النشر, القاهرة , (١٩٦٦) ٠

عبد اللطيف أحمد على : التاريخ اليونانى (العصر الهيلادى) , بيروت , (١٩٧٦)٠

عبد المعطى شعراوى : أساطير إغريقية (أساطير البشر) , الهيئة المصرية العامة للكتاب , (١٩٨٢) ٠

" : أساطير اغريقية (أساطير الألهة الصغرى) , الجزء الثانى , مكتبة الأنجلو المصرية ٠ (١٩٩٥) ٠

فاطمة الزهراء هاشم : الروابط الأسرية فى مصر الرومانية فى ضؤ الوثائق البردية , القاهرة –رسالة ماجستير – جامعة القاهرة , كلية الأداب , (١٩٩١) ٠

محمد حمدى ابراهيم : نظرية الدراما الاغريقية , لونجمان , (١٩٩٤) ٠

المراجع الأجنبية

Cameron A.: " The exposure of children and Greek Ethic " , CR, 46 , (1932) . .

Davies J. K. : Athenian propertied , Oxford , (1971).

Engels D. : " The problem of female infanticide in the Greco - Roman world " , CPH , 75, (1980) .

Golden M. : " Demograohy and the exposure of girls at Athens" Phoenix , 35, (1981) .

" " : " Did the ancient care when their children died?" Greece & Rome , 2nd series , 35 , no, 2 , (1988) .

Graves R. : The Greek Myths , London , (1958) .

Harlick S. : Cruelty towards children in Theban traditional tales , Master degree , department of new found land , (1988) .

Harris W. V. : " Child- Exposure in the Roman Empire " , JRS , 84 , (1994) .

" " : The Roman father's power of life and death " , in studies in Roman lawin Memory of A. Arthur Schiller , (1986) .

" " : " Towards a study of the Roman slave trade", MAAR , 36 , (1980) .

Huys A. :" ἔχθεσις & ἀπόθεσις: the terminology of infant exposure in Greek antiquity " , AC , 58 (1989) .

La Rue Van Hook : " The exposure of infants at Athens " TAPA , 51, (1920) .

Lewis N. : Life in Egypt under Roman rule , Oxford , (1985).

Lindsay J. : Daily life in Roman Egypt , London , (1963).

Mohamed I. A. : Exposure of children in antiquity as a literary tradition and an Historical fact " BSAN, (1974-75) .

Patterson C. : " Not worthing the rearing ; the causes of infant Exposure in ancient Greece , " TAPA, 115, (1985) .

Pomeroy S.B. : " Copronyms and the exposure of infants in Egypt " , in studies in Roman law in Memory of A. Arthur Schiller , (1986) .

Rawson B. : The family in ancient Rome , London , (1986) .

Taubenschlag R. : The law of Graeco –Roman Egypt in the light of papyri , warzawa , (1955) .

Wiedemanni T. : Adults and children in the Roman Empire , (1989) .